الاستعمال اللغوي للجذر (ختم)، مقاربة لسانية

أ.م. د. أسعد عباس كاظم المياحي

جامعة واسط/ كلية الآداب، قسم اللغة العربية

تاريخ الاستلام : 2021-09-20

تاريخ القبول : 2021-09-23

ملخص البحث:

يتعرض هذا البحث إلى متابعة تطور الاستعمال اللغوي للجذر (ختم) منذ اللغات السامية وحتى عصرنا الحديث هذا، مرورًا بعربية ما قبل القرآن، فضلاً عن تطور استعماله القرآني، واستعماله في عربية ما بعد القرآن. اعتمد البحث على المنهجين التأريخي والوصفي التحليلي، وتتبع تطور الدلالات اللغوية المختلفة في الاستعمال على مرِّ العصور، معتنياً بما ذكرته مصادر اللغات السامية، والمعجمات اللغوية والدواوين الشعرية، ومعجمات الدلالة القرآنية التي جمعت خلاصة المعاني من التفاسير، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، وغير ذلك. وقد خلص البحث إلى أنّ التطور اللغوي في الجذر (ختم) يسير سيراً متواصلاً؛ إذ إنّه بدأ مسيرته من اللغات السامية، بمعانٍ قليلة، ثم استحدثت له معاني عدّة في الاستعمال القرآني، وتواصل تفرعها واستحداثها بعد القرآن الكريم، كما تبين لنا في البحث، حتى إذا وصلنا إلى العصر الحديث وجدناه متطوراً إلى استعمالات عصرية كثيرة تمثل ديدن اللغات عامة، واللغة العربية على وجه الخصوص، غير أننا وجدنا أيضاً أنّ كثيرًا من الاستعمالات اللغوية والدلالات المختلفة قد اختفت، وباتت أمراً منسياً – إن صح التعبير – لعدم استعمالها في هذا العصر، ولاكتفاء مستعملي اللغة بغيرها.

الكلمات المفتاحية: التطور الدلالي، اللغات السامية، الاستعمال القرآني، اللغة العربية بعد القرآن، اللغة العربية المعاصرة.

Linguistic use of the root (seal), a linguistic approach

Dr. Asaad Abbaas Kadhim Al. Miahy
Arts College Arabic Department Wasit Iraq
asaadabbaas@gmail.com
07705935064

Receipt date: 2021-09-20
Date of acceptance: 2021-09-23

Abstract

This research examines the follow-up of the development of the linguistic use of the root "seal" (khatam) since the Semitic languages until our modern age, passing through pre-Qur'an Arabic, as well as the development of its Qur'anic usage, and its use in post-Qur'an Arabic. The research relied on the historical and descriptive analytical approaches. It is tracked the development of different linguistic connotations in use over the ages, taking care of what was mentioned by the Semitic language sources, linguistic dictionaries, poetic collections, and dictionaries of Quranic significance that collected the summary of meanings from interpretations, the contemporary Arabic language lexicon, and others. The research concluded that the linguistic development in the root (khatam) is proceeding continuously; as it started his pathway from Semitic languages, with few meanings, then several meanings were developed for it in the Qur'anic usage. It is continued to branch and develop after the Holy Qur'an. As it became clear in the research, even if we reached the modern era, we found it developed into many modern uses that represent the religions of languages in general, and the Arabic language in particular. It was also found that many of the various linguistic uses and connotations have disappeared, and have become a forgotten matter - so to speak - because they are not used in this era, and the users of the language are satisfied with others.

key words: Semantic development, Semitic languages, Qur'anic usage, Arabic language after the Qur'an, contemporary Arabic language.

المقدمة:

اللغة الإنسانية كائن حي، تحيا، وتنمو، وتتغير، على ألسنة أبنائها منذ نشأتها وحتى عصرنا الحالي، ومعروف أنّ اللغة تتطور بتطور المجتمع ، وترقى برقيه، وتنحط بانحطاطه (عبد التواب، 1983: 5).

واللغة العربية لغة ضاربة في القدم، ولها جذور في الساميات، وبدهي أن تتغير دلالاتها من جيل لآخر، ومن حقبة إلى حقبة؛ إذ إنّ " التطور الدلالي هو أحد جوانب التطور اللغوي، وميدانه الكلمات ومعانيها، ومعاني الكلمات لا تستقر على حال، بل هي في تغير مستمر لا يتوقف، ومطالعة أحد معاجم العربية تبرهن على هذا التطور وتبين أن معاني الكلمات متغيرة من عصر إلى عصر"(الصالح، 2003: 1).

ومن هنا، فإنّ البحث سيتابع ذلك التطور منذ استعمالها في الساميات، مرورًا باستعمالها القرآني الكريم، وحتى عصرنا الحاضر لنقف على مظاهره وتغير دلالاته في الجذر اللغوي (خ ت م).

اعتمد البحث على المنهجين التأريخي والوصفي التحليلي، وبدأ باستقصاء دلالة الجذر (ختم) في اللغات السامية، ثم انتقل إلى دلالتها في عربية ما قبل الإسلام، وبعد ذلك سلط الضوء على استعمالها القرآني الذي تميز بالدقة والبلاغة، وواصل متابعة معانيه في عربية ما بعد الإسلام وصولاً إلى استعمالها في عربية العصر الحديث.

وقد أفاد البحث من مصادر عدّة كان من أبرزها كتب اللغات السامية، والمعجمات اللغوية والدواوين الشعرية، ومعجمات الدلالة القرآنية التي جمعت خلاصة المعاني من التفاسير، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، وغير ذلك..

ولا أدّعي الكمال أو التفرّد في هذا العمل، إلا أنني أسعى في بحثي هذا أن أقدم خدمة صغيرة للغة القرآن الكريم عسى أن تنفعنا هذه الخدمة، أو نتخذها عند الله ذخرًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغرِّ الميامين المنتجبين.

(خ ت م):

ورد الجذر (ختم) في اللغات السامية بمعانٍ عدّةٍ، إلا أنّ المعنى العام لـ(ختم) هو الإغلاق، فقد وردت في الفينيقية والعبرية (ح ت م) بمعنى ختم وأنهى، وفي الآرامية حَ تَ م : مثله (علي، 2009: 145)، و(كمال الدين، 2008: 158)، وجاءت في السريانية ح تَ م، وفي المندائية هـ ت م، وفي السبئية خ ت م، خ ي ت م، وكلها بمعنى: الأرض المزروعة، وفي الحبشية خَ

تَ مَ : خَتْم (علي، 2009: 145)، وفي السريانية ه تَ م : خَتَم، وفي العبرية خ و ت م ، وفي السريانية ح تَ م : خاتِم ، وخَتْم(كمال الدين، 2008: 158).

وفي عربية ما قبل الإسلام، فإنّ هذا الجذر ورد بمعانٍ عدّة من أبرزها، الختم بمعنى الخاتم الذي تختم به الرسائل، وقد ورد ذكره في الشعر الجاهلي، كقول امرئ القيس (80 ق.ه)(القيس، 2004: 115):

ترى أثر القرح في جلده كنقش الخواتم في الجرجس

والجرجس هنا: إمّا الطين الذي يختم به، وإمّا الصحيفة نفسها(القيس، 2004: 115)، و(الأسد، 1988: 121).

والخاتَم – أيضاً – طابع تُطبع به أوعية الطعام أو الشراب وتختم ، قال الأعشى (570م – 7ه) (الأعشى، د.ت: 63).

وصهباء طاف يهوديها وأبرزها وعليها خُتُـــمُ

والخاتم – أيضاً – الحَلَق الذي يُتختم به، قال المخبل السعدي (بعد 16ه) يذكر رجلًا أعطاه النعمان بن المنذر خاتمه، ويقال لخاتم الملك الحلق(البطليوسي، 1966: 1/ 185)، و الضامن: 2007: 37:

وأُعطِي منَّا الحلق أبيض ماجد رديف ملوك ما تغب نوافله

أمّا القرآن الكريم فقد وظّفها توظيفًا رائعًا ودقيقًا بألفاظ ومعانٍ عدّةٍ، فـ(ختم): لفظ دال على بلوغ آخر الشيء، واستعملها القرآن الكريم في معانٍ عدّة، منها ما يأتي:

1. ختم: غاية الإنكار ومنتهاه، أي أنّ من وصل إلى هذا النوع من الإنكار فقد حُرِمَ قلبه من الاهتداء، وذلك في قوله تعالى: ﴿"خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"﴾ يس: (7). (ابن عباس: 1992: 1/ 85)، و(ابن كثير،2000 : 1/ 278)، و(حمودي، 2011: 327/1)، و(عمر، 2008: 160).
2. ختم: طبع، فقوله تعالى: ﴿"خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"﴾ يس: (7)، أي: يعني طبع الله عَلَى قلوبهم فهم لا يعقلون الهدى وَعَلى سَمْعِهِمْ يعني آذانهم فلا يسمعون الهدى. (ابن عباس، 1992: 1/ 4)
3. ختم: ربط ومنع وأسكت، وهي تفيد معنى الإسكات ، وذلك في قوله تعالى: ﴿"اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"﴾ يس (65) (عمر، 2008: 160)

4. ختم: وَسَمَ، قال الامام عليه السلام في قوله تعالى: ﴿"خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"﴾ يس: (7)، أي: وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظر إليها بأنهم الذين لا يؤمنون، " وعلى سمعهم " كذلك بسمات. (العسكري، 1988: 1/ 98)

5. ختم: شهد، فقوله تعالى: ﴿"خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"﴾ يس: (7)، أي: شهد عليها بأنها لا تقبل الحق يقول القائل: أراك تختم على كل ما يقولون، أي تشهد به وتصدقه.(الطوسي، 1995: 1/ 63).

6. ختم: أقفل، فالختم على الشيء وضع خاتم عليه، أشبه بالقفل المحكم، بحيث لا ينفذ إليه شيء، وذلك في قوله تعالى: ﴿"خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"﴾ يس: (7)، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى في آية أخرى: ﴿"أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها"﴾ محمد: (24) (الخطيب، د.ت: 1/ 29).

7. خاتم: تشير إلى أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هو خاتم الأنبياء والمرسلين وآخرهم، كما في قوله تعالى: ﴿"مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"﴾ الأحزاب: (40)(حمودي، 2011: 327/1)، و(عمر، 2008: 160) و(الطوسي، 1995: 1/ 64)، و(مجمع اللغة العربية، 1988: 341).

8. خاتم: تشير إلى أنّ نبوّة الأنبياء خُتِمت بالنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، كما في قوله تعالى: ﴿"مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"﴾ الأحزاب (40) (مجمع اللغة العربية، 1988: 341) (الخطيب، د.ت: 11/ 822).

9. ختام: آخر الشيء، ومنه ختامه مسك، كما في قوله تعالى: ﴿"خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ"﴾ المطففين: (26) (حمودي، 2011 327/1)، و(عمر، 2008: 160)

10. ختام: آخر شربة تفوح منها رائحة المسك، كما في قوله تعالى: ﴿"خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ"﴾ المطففين: (26) (عمر، 2008: 160)

11. ختام: وتفيد أنّ المسك يقوم مقام الخاتم في الختم على الشراب، كما في قوله تعالى: ﴿"خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ"﴾ المطففين: (26) (مجمع اللغة العربية، 1988: 341)، و(الطباطبائي، 1997: 20/ 133)

12.مختوم: محمي ومطبوع عليه، لا يفك ختامه إلا من خُصَّ به، وذلك كناية عن صيانته ونفاسته، أي أنّه مصون غير ممسوس، كما في قوله تعالى: ﴿"يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ"﴾ المطففين (25) (مجمع اللغة العربية، 1988: 341)، و(عمر، 2008: 160)، و(الطباطبائي، 1997: 20/ 133).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هناك ثمّةَ فرق بين الخاتِم بكسر التاء، والخاتَم بفتحها، فالخاتِم يكون من جنس آخر يختلف عن جنس المختوم، يقال: ختمت القارورة بالطين(الفراهيدي، 1997: ختم)، فأنت خاتِم لها؛ لأنك لست من جنس مادتها (حمودي، 2011 327/1)، أمّا الخاتَم بالفتح، فإنه من جنس المختوم ومن نوعه وصفاته وملامحه كالنبي (صلّى الله عليه وآله وسلم)(حمودي، 2011: 328/1).

وأمّا الخاتَم الذي يوضع في الأصبع فأصله خاتِم بالكسر وفتحت تاؤه تجوّزًا؛ لأنه لايختم إصبع الإنسان، أي: لا ينهيه، وأخذت تسميته من استعمالهم له لتذييل رسائلهم وكتبهم، فالختم جزء مضاف وليس من أصل الرسالة أو الكتاب، وجرى الكلام توسّعًا وتجوّزًا بكسر التاء، وعلى العكس من ذلك خاتِمة الكتاب؛ إذ يجب فتح التاء بوصفها جزءٍا من الكتاب، فإن استقلّت عن الكتاب صحَّ فيها الكسر، ولكن هكذا جرى الاستعمال)(حمودي، 2011: 328/1).

وبعد الإسلام واصلت هذه اللفظة مسيرتها، ووجدنا أن بعض دلالاتها بقيت كما هي، وتغيرت استعمالات بعضها الآخر، وقد ذكرت المعجمات اللغوية تلك الاستعمالات في كلام العرب شعرًا ونثرًا، ومن ذلك ما يأتي:

1. خَتَمَ: أنهى: وذلك يبين في قَول الإمام الصادق (عليه السلام)(ت148هـ): "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لِعَلِيٍّ (عليه السلام): يَا عَلِيُّ افْتَتِحْ طَعَامَكَ بِالْمِلْحِ وَاخْتِمْ بِالْمِلْحِ فَإِنَّ مَنِ افْتَتَحَ طَعَامَهُ بِالْمِلْحِ وَخَتَمَ بِالْمِلْحِ عُوفِيَ مِنِ اثْنَيْنِ وَ سَبْعِينَ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ مِنْهُ الْجُذَامُ وَ الْجُنُونُ وَ الْبَرَصُ"(الكافي: 6/ 326).
2. الخَتْم : التغطية ، فأَصل البذر وخَتْمه: تغطيتُه، ولذلك قيل للزَّرَّاع كافر؛ لأَنه يُغطّي البذر بالتراب (ابن منظور، 2004: (ختم)).
3. الْخُتُمُ : فُصُوصُ مفاصِلِ الْخَيْل ، قال ابنُ الأعرابيّ : الْخُتُمُ فُصُوصُ مفاصِلِ الْخَيْل ، واحِدُها خِتَامٌ ، وخَاتَمٌ(الأزهري، 1964: (ختم)، و(ابن منظور، 2004: (ختم)، و(الزبيّدي، 2004: (ختم))
4. ختم : أغلق الكتاب باستعمال النقش (الأزهري، 1964: (ختم)، و(ابن منظور، 2004: (ختم)).

5. ختم : طبع ، قال الرِّضَا (عليه السلام) (203ه) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ: ﴿**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ **يس (7)**، فالْخَتْمُ هُوَ الطَّبْعُ عَلَى قُلُوبِ الْكُفَّارِ عُقُوبَةً عَلَى كُفْرِهِمْ (عيون أخبار الرضا عليه السلام: 123/1)، وقَالَ أَبُو إِسْحَاق الزجاج (311ه): معنى خَتم، وطبع فِي اللُّغة وَاحِد، وَهُوَ التغطية على الشَّيْء والاستيثاق من أَلا يدْخلهُ شَيْء، كَمَا قَالَ جلّ وَعز: (أم على قُلُوب أقْفالها) (الأندلسي، 1958: (ختم))

6. الْخَتْمُ : قال ثعلب (291ه): أَفْواهُ خَلايَا النَّحْلِ (الأزهري، 1964: (ختم)، و(ابن منظور، 2004: (ختم)). خاتِمُ كُلُ شَيْء، وخاتِمته : عاقبتُه وآخِره ونهايته، قال جرير (110ه) (الخطفي، 1986: 579)

إن الخَليفةَ إن الله سَرْبَله سِربالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الخَواتيمُ

وفي حديث لأَبي عَبْدِ اللَّهِ الصادق (عليه السلام)(ت148ه): " إِنَّ مَنْ كَتَبَهُ اللَّهُ سَعِيداً وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا فُوَاقُ نَاقَةٍ خَتَمَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ"(الكليني، 1984:1/ 154).

7. الخَاتَمُ والخَاتِمُ : من أسماء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومعناه : آخِرُ الأنبياء(الأزهري، 1964: ختم)، و(ابن منظور، 2004: ختم)، قال السجاد (عليه السلام) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِين(الصحيفة السجادية، ص: 88).

8. الخاتمُ والخاتام والخيتام : الحَلَق الذي يُتختم به ، فيُلبس في أحد أصابع اليد، يقال: تختّم، إذا لبس الخاتم، "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : تَخَتَّمُوا بِالْعَقِيقِ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ وَمَنْ تَخَتَّمَ بِالْعَقِيقِ يُوشِكُ أَنْ يُقْضَى لَهُ بِالْحُسْنَى"(المجلسي، 2017: 11/ 63).

9. الخَاتمُ : القصيدة، ديوان ابن الرومي (283ه) ابن الرومي، 2002: 1116.

هاكَهَا دُرِّيَةً منظُومةً شَاكَلَ الخَاتمُ منْها المُفْتَتَحْ

10. الخِتامُ: الطِّينُ الذي يُخْتَم به على الكتاب، "فالخَتْم والطَّبْع على وَجْهين : الأولُ تأثِيرُ الشيءِ بِنَقْش الخَاتَم والطَّابع، والثاني الأثرُ الحاصل عن النَّقْش"، قَالَ الْفَرَزْدَقُ (110ه)(التميمي، 1987: 836)

فبِتْنَ جَنَابَتَيَّ مُصَرَّعاتٍ وبِتُّ أَفُضُّ أَغلاقَ الخِتامِ

11. الخَتام : الخمرة، قَالَ النابغة الشيباني (125هـ)(الشيباني، 2000: 7)

يُشِبُّ حُميّا الكأسِ فيهِ إذا انتشى قديمُ الخِتامِ بابِليٌّ مُعَتَّقُ

12. الخَتام : الغطاء، قَالَ بشار بن برد (167هـ)(بن برد، 2007: 4/ 176):

حُبِسَتْ للشُّراةِ في بيتِ رأسٍ عُتِّقتْ عانِساً عليها الخِتام

13. "الْخِتَامُ : أَنْ تُثَارَ الأرضُ بالبَذْر حتى يَصيرَ الْبَذْرُ تحتها ، ثم يَسْقُونها، يقولون : خَتَمُوا عليه"(الأزهري، 1964: (ختم)، و(ابن منظور، 2004: (ختم)).

14. ختامه: مِزَاجُهُ ، قال مُجَاهِدٌ (104هـ) : (ختامه مسك) ، مِزَاجُهُ مِسْكٌ (المخزومي، 1989: 712).

15. ختامه : خِلْطُهُ ، روَى أبو عبيد حديثَ عَلْقَمَةَ في قول الله جلّ وعزّ : (ختامه مسك) قال : خِلْطُهُ مِسْكٌ ، أَلم تَرَ إلى المَرْأَة تقول _ للطِّيبِ : خِلْطُه مِسْكٌ . . خِلْطُهُ كَذَا (المخزومي، 1989: 712) (الأزهري، 1964: (ختم).

16. تختم: تعمم، قال ثعلب (291هـ): جَاء فلانٌ مُتَختماً، أَيْ: مُتَعَمِّماً (الأزهري، 1964: (ختم)، (الزبيّدي، 2004: (ختم))

17. يختم : يُنسي، قال قتادة في معنى قوله عز وجلّ : فإن يشإِ الله يَخْتِمْ على قلبك، إن يشإِ الله يُنْسِكَ ما آتاكَ (ابن منظور، 2004: (ختم)).

18. يختم : يربط، قال الزجاج (311هـ) في معنى قوله عز وجلّ : فإن يشإِ الله يَخْتِمْ على قلبك، فيه، أي : إن يشإِ الله يَرْبِطْ على قلبك بالصبر على أَذاهم(ابن منظور، 2004: (ختم)).

19. اختم : سيطر ، أو حافظ ، "قال أَبَو جَعْفَرٍ(عليه السلام) (114هـ): كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ يَا مُبْتَغِيَ الْعِلْمِ إِنَّ هَذَا اللِّسَانَ مِفْتَاحُ خَيْرٍ وَ مِفْتَاحُ شَرٍّ فَاخْتِمْ عَلَى لِسَانِكَ كَمَا تَخْتِمُ عَلَى ذَهَبِكَ وَ وَرِقِكَ". (الكليني، 1984: 2/ 114).

20. ختمي : حسبي ، يقال : أَعطاني خَتْمي أَي حَسْبي؛ لأَن حَسْب الرَّجُل آخِرُ طلبه، قال دُرَيْدُ بن الصِّمّة(ابن منظور، 2004: (ختم)، و(الزبيّدي، 2004: (ختم)):

وإِني دَعَوْتُ الله لما كَفَرْتَني دُعاءً فأَعطاني على ماقِطِ خَتْمِي

21. مختوم : مصون غير ممسوس ، لايفك ختامه إلا من اختص به ، قَالَ أَبِو عَبْدِ اللَّهِ الصادق (عليه السلام)(ت148هـ): إِنَّ الْوَصِيَّةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى مُحَمَّدٍ كِتَاباً لَمْ يُنْزَلْ عَلَى مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) كِتَابٌ مَخْتُومٌ إِلَّا الْوَصِيَّةُ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ ع يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ وَصِيَّتُكَ فِي أُمَّتِكَ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتِكَ" (المجلسي، 2017: 5/ 97).

وواضح أن القرآن الكريم قد استحدث معاني جديدة، وهذا يدلّ على قوة اللفظ القرآني، ومرونته ودقّته وإعجازه من جهة، ومن جهة أخرى يدلّ على نمو اللغة وتطورها وتكيفها مع الدلالة التي تريد أن تخرج إليها اللفظة.

أمّا في العربية المعاصرة فقد تعددت المعاني التي خرجت إليها هذه اللفظة(عمر، 2009: 1/ 613 –615)، وسنورد هنا جلّ ما أحصيناه من استعمالات لنكشف التطور الذي طرأ على دلالات هذه اللفظة.

فقولنا: "خُتَم البحثَ ونحوَه: بمعنى أتمّه وأنهاه، أي: فرغ منه، وبلغ آخرَه، وختم الصَّبيُّ القرآنَ: أتمَّ حفظه أو قراءته، ومنه قولنا: اختتم المؤتمرُ أعمالَه، أي : ختَمها، وأتمَّها وأنهاها، وهو نقيض افتتحها، ومنه: حضر اختتام الدَّورة البرلمانيّة، واختتم المناظرةَ، أو الندوةَ ببعض التعليقات".

والخاتَم: "من أسماء النبيّ محمد صلَّى الله عليه وسلَّم أي: آخر النبيين محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم خاتم النَّبيّين".

ولفظة الختم، والأختام في قولنا: اختم كتابك، وأوراقك ليس عليها أختام، نعني بذلك: النقش أو العلامة المميّزة التي تثبت صلاحية الكتب والأوامر الرسمية، يقال: إنّ هذه الوثيقة تحمل خَتْمًا جمهوريًّا، أو هذا كتاب غير مختوم، أي: أنه غير رسمي، وإذا قلنا: "ختَم الرِّسالةَ، أو ختَم على الرِّسالة: أردنا أنه أثّر فيها بنقش الخاتم، وختم الورقةَ أو العقد: وضع ختمًا في آخره، وإذا قلنا ختَمَ على بياضٍ، فإننا نريد أنّه أعطى تفويضًا مطلقًا، أمّا إذا قلنا ختَم اللهُ له بخير، فإنّ المعنى المراد هو: أتمّ عليه نعمتَه وجعل له عاقبة حسنة، ومثل ذلك ختم له بخاتمة السعادة".

ولو قلنا: "ختَم على الطَّعام والشَّراب، فمعنى ذلك أنّه غطّى فوّهة إنائه وأغلقها بمادّة عازلة، أي: أحكم غطاء الإناء الذي يحويه"، وكأنه يناظر قوله تعالى: ﴿**يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ**﴾ **المطففين (25)** مصون غير ممسوس، ومثل ذلك نجده في الاستعمال الجديد: ختَمَ بالشَّمْع الأحمر، أي: أغلق بصورة مُحكمة، وكذلك الحال في: "نَزْعُ الأختام، أي: إنهاء وضعها بأمر من المحكمة، ومنه: وضع الأختام الرسميّة على باب أو دكان"، فذلك يعني أنّه لا يمكن أخذ شيء دون كسر الأختام.

وحين نقول: ختَم على فمه، فإننا نقصد أنه منعه من الكلام، وكأنّه يحاكي قوله تعالى: ﴿**اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ **يس (65)**، والختم – أيضاً – بمعنى: الربط والمنع، ومنه قولنا: "ختَم على قلبه، أي: جعله لا يفهم شيئًا كأنّه غطّاه، وطبع عليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ **يس: (7)، أي:** صرفها عن الحقّ ووسمها بسِمَة الكفر، وكذلك قولنا: ختَمَ فلان عليك بابه: إذا أعرض عنك".

وإذا قلنا: تختَّم فلانٌ، أو تختَّم بالذَّهب ، أردنا بذلك أنّه لبس الخاتَم، واتّخذه خاتمًا، امّا إذا قلنا: ختَّم الطَّائرَ، وختّم حمامَ الزّاجل: "قصدنا أنّه وضع خاتمًا في رِجله، ختَّم الشَّخصَ: ألبسه الخاتم، وهو حَلْقة ذات فَصٍّ تُلبس في الإصبع كالخاتم في إصبع زوجته، ومنه: خاتم الخطوبة أو الزواج، وإذا قيل: خاتم المُلك، فإنّه قول يضرب مثلًا في النفاسة والشرف، أمّا خاتم سليمان، فإنّه يضرب به المثل في الشَّرف والعلوّ ونفاذ الأمر".

أمّا كلمة خاتِمة (المفردة)، وجمعها: خاتمات وخَواتِمُ وخَواتِيمُ:، فإنّ معناها: عاقبة كلّ شيء وآخِرته ونهايته، يقال في عصرنا هذا: هذه خواتيم الأعمال، والعبرة بالخواتم، والأعمال بخواتيمها، والأمور بخواتيمها، والقصد من ذلك كلّه "أنّ الأمور مرهونة بنتائجها وعواقبها، وقولنا: خاتمة الحكاية يراد به: المثل أو الحكمة التي يُختم بها السرد القصصيّ، أمّا قولنا: خاتمة المطاف"، قصدنا به: النهاية، وما ينجلي عنه الأم، ومنه: خاتمة السورة، أي: نهايتها، وآخرها، ومنه: خِتاميّ (المفرد): المنسوب إلى خِتام، أي: النهائيّ، يقال في ذلك: الأعمال الختامية، أو الجلسة الختاميّة لأعمال المؤتمر.

ومن الاستعمالات الجديدة الواردة في هذه اللفظة خَتْمة وخَتَمات وخَتْمات، أي: إنهاء قراءة القرآن الكريم بالكامل، فلو قلنا: هذه حفلة لختم القرآن الكريم، أردنا بذلك إقامة حفلٍ بمناسبة إنهاء تعلم القرآن الكريم، ولو قلنا: سنشترك بختمة قرآنية، لكان المعنى: "سنقرأ القرآن الكريم ثوابًا للمتوفّي، ومنه: قرأ الخَتْمةَ ووهب ثوابها لوالده"(عمر، 2009: 1/ 613 –615).

ومما انتجه الاستعمال المعاصر لهذه اللفظة قولنا: انختم الجرح، إذا أنسد والتحم والتأم، وكذلك الختم التي بمعنى البكارة، يقال: زُفّت إليه بخاتمها، أي: بخاتم ربّها، كناية عن أنّها مازالت بكرًا، ومثلها قولنا: احتجم في خاتم قفاه، أي: في نقرة القفا، فالخاتم هنا بمعنى النقرة، وكذلك قولنا: ختم الشيء، إذا رسم عليه رسماً ليميزه عن غيره، فالختم هنا بمعنى الرسم.

الخاتمة والنتائج:

بدأ الجذر (ختم) مسيرته من اللغات السامية، وكان مقتصرًا – بحسب ما وصل إلينا – على معانٍ قليلة، هي: (انتهى، والأرض المزروعة، والخَتْم والخاتَم)، ولا أريد أن أجزم بأنّ قلة هذه المعاني أمر بدهي، بحكم الحياة البدائية البسيطة، إلا أنّ الأمر الأساس والأكثر أهمية هو أن هذه المعاني بقيت مستمرة في مسيرتها على مرّ العصور، إلا معنى (الأرض المزروعة) فإنّها لم تعد تستعمل في العصر الحديث.

أمّا المعاني الأخرى فقد استحدثت في الاستعمال القرآني، وتواصل تفرعها واستحداثها بعد القرآن الكريم، كما تبين لنا في البحث، وذلك يبين أثر القرآن الكريم على تطوّر اللغة وتكثير معانيها، فضلاً عن قوته ودقته في استعمال الألفاظ ودلالاتها المختلفة، وقد بدأ المفسرون يستشعرون الدلالات المتعددة التي توصلوا إليها في تفسيرهم للقرآن الكريم، والتي انتشرت وتفرعت بشكل كبير وملحوظ.

وبعد عصر القرآن الكريم واصل الجذر (ختم) تطوره، وبان ذلك في ما نقلناه من أقوال ونصوص، حتى إذا وصلنا إلى العصر الحديث وجدناه متطوراً إلى استعمالات عصرية كثيرة تمثل ديدن اللغات عامة، واللغة العربية على وجه الخصوص، غير أننا وجدنا أيضاً أنّ كثيرا من الاستعمالات اللغوية والدلالات المختلفة قد اختفت، وباتت أمراً منسياً – إن صح التعبير – لعدم استعمالها في هذا العصر، ولاكتفاء مستعملي اللغة بغيرها.

وفي ما يأتي ملخص لمسيرة الجذر (ختم) بدلالاته الثابتة والمستحدثة.

أولاً: اللغات السامية :ختم وأنهى، والأرض المزروعة، وخاتِم ، وخَتْم

ثانياً: عربية ما قبل الإسلام: الذي تختم به الرسائل، والطابع تُطبع به أوعية الطعام أو الشراب وتختم، الحَلَق الذي يُتختم به.

ثالثاً: القرآن الكريم:

1.ختم: غاية الإنكار ومنتهاه، وطبع، وربط ومنع وأسكت، وَسَمَ، شهد، أقفل.

2.خاتم: خاتم الأنبياء، ونبوّة الأنبياء خُتِمت بالنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

3.ختام: آخر الشيء، وآخر شربة تفوح منها رائحة المسك، والمسك يقوم مقام الخاتم في الختم على الشراب.

4.مختوم: محمي ومطبوع عليه.

رابعاً: بعد الإسلام:

1.خَتَمَ: أنهى، وفُصُوصُ مفاصِلِ الْخَيْل، أغلق الكتاب باستعمال النقش، طبع، وأَفْواهُ خَلايَا النَّحْلِ، وعاقبة الشيء وآخِره ونهايته.

2.الخَاتَمُ والخَاتِمُ : هو من أسماء نبينا (صلوات الله عليه وآله وسلم)، والحَلَق الذي يُتختم به، والقصيدة، والطِّينُ الذي يُخْتَم به على الكتاب، والخمرة، والغطاء، وإثارة الأرضُ بالبَذْر حتى يَصيرَ الْبَذْرُ تحتها .

3.ختامه: مِزَاجُهُ، وخِلْطُهُ.

4.تختم: تعمم، ويُنسي، ويربط.

5.اختم : سيطر ، أو حافظ.

6.ختمي : حسبي .

7.مختوم : مصون غير ممسوس.

خامساً: العربية المعاصرة :

1.خُتَم أتمّه وأنهاه.

2.الخاتَم: من أسماء النبيّ محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)

3.الختم، والأختام: النقش أو العلامة المميّزة.

4.ختَم على الطَّعام والشَّراب: غطّى فوّهة إنائه وأغلقها

5.ختَم على فمه: منعه من الكلام.

6.الختم: الربط والمنع.

7.تختَّم : لبس الخاتَم.

8.خاتِمة: عاقبة كلّ شيء وآخِرته ونهايته.

9.خَتْمة: إنهاء قراءة القرآن الكريم بالكامل.

10.انختم الجرح، أنسد والتحم والتأم.

11.الختم: البكارة.

12.خاتم القفا، نقرة القفا.

13. ختم الشيء: الرسم.

Reference:

The Holy Quran.

Ibn al-Atheer, 1963: The End in Gharib al-Hadith and Athar, Imam Majd al-Din bin Muhammad, investigation: Mahmoud Muhammad al-Tanaji, and al-Taher Ahmad al-Zawi, 1st edition, Islamic Library.

Ibn Burd, 2007: Diwan of Bashar Ibn Burd, collected and investigated by: Mohamed Taher Ibn Achour, Ministry of Culture, Algeria.

Ibn Sayda, 2000: The arbitrator and the greatest ocean in language, Ali bin Ismail (458 AH), investigation: Abdel Hamid Hindawi, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.

Ibn Al-Roumi, 2002: The Diwan of Ibn Al-Roumi, Ali Bin Al-Abbas Bin Jurej, 3rd Edition, investigative: Ahmed Hassan Bassaj, Beirut - Lebanon.

Ibn Abbas, 1992: Tanweer al-Miqabbas from the interpretation of Ibn Abbas, compiled by: Muhammad bin Yaqoub al-Fayrouzabadi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Lebanon.

Ibn Manzur, 2004: Lisan al-Arab, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram (d. 711 AH), 3rd edition, Dar al-Maarifa, Cairo.

Al-Azhari, 1964: Refining the language, Muhammad bin Ahmed, Egyptian House of Composition and Translation, Cairo.

Al-Assad, 1988: Sources of Pre-Islamic Poetry, Nasser Al-Din, 7th edition, Dar Al-Maaref, Egypt.

Al-Andalusi, 1958: Al-Asha, Dr. T.: Diwan Al-Asha, Maymoon bin Qais (d. 7 AH), explanation and commentary: Muhammad Hussein, Typical Press, Egypt.

Al-Batalyousi, 1996: Al-Iqtib fi Sharh Adab Al-Kitab, Abdullah bin Al-Sayed (521 AH), investigative by: Mustafa Al-Sakka, and Hamed Abdel-Majid, Dar Al-Kutub Al-Masryah Press, Cairo.

Ibn Kathir, 2000: Interpretation of the Great Qur'an, Imad al-Din Abu al-Fida Ismail al-Dimashqi, Investigator: Mustafa al-Sayyid Muhammad, Muhammad al-Sayyid Rashad, Muhammad Fadl al-Ajmawi, and Ali Ahmad Abd al-Baqi, 1st edition, Cordoba Foundation, and Awlad al-Sheikh Heritage Library, Egypt.

Al-Tamimi, 1987: Diwan Al-Farazdaq, Abu Firas Hammam bin Ghaleb bin Sasa'ah, 1st edition, explained and controlled by: Professor Ali Faour, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut - Lebanon.

Hamoudi, 2011: Encyclopedia of the Words of the Noble Qur'an, Hadi Hassan, Publications of the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization.

Al-Khatifi, 1986: Jarir's Diwan, Jarir bin Attia, investigation: Nouman Amin Taha, Beirut House for Printing and Publishing.

Al-Khatib, D.T.: The Qur'anic Interpretation of the Qur'an, Abdel Karim Younes, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo.

Al-Zubaidi, 2004: Taj Al-Arous, Muhammad Mortada, 3rd floor, Dar Al-Maarifa, Beirut.

Al-Shaibani, 2000: The Diwan of Nabigha Bani Shaiban, Al-Nabigha, 3rd Edition, Dar Al-Kutub Al-Masryah, Cairo.

Al-Saleh, 2003: Semantic Development in Arabic in the Light of Modern Linguistics, Hussein Hamed, Journal of Social Studies, Issue 15, January - June.

Al-Saduq, 1998: Amali Al-Saduq, Muhammad bin Ali bin Babawayh (381 AH), Al-Alamy Publications Institution, Beirut.

Al-Saduq, 2012: The ills of the Sharia, Muhammad bin Ali bin Babawayh (d. 381 AH), Dar al-Kutub al-Islamiyya, Beirut, Lebanon.

Al-Saduq, 2016: Meanings of the News, Muhammad bin Ali bin Babawayh (381 AH), investigation: Ali Akbar Al-Ghafari, Al-Sadooq Library, Tehran.

Al-Saduq, 2011: Who does not attend the jurist, Muhammad bin Ali bin Babawayh (d. 381 AH), Dar al-Kutub al-Islamiyya, Beirut, Lebanon.

Al-Saduq, 2011: Al-Khisal, Muhammad bin Ali bin Babawayh (d. 381 AH), Al-Saduq Library, Islamic Publishing Corporation, Tehran.

The Damen: 2007, Diwan Al-Makhabal Al-Saadi, Hatem Al-Damen, Investigation: Muhammad Nabil Tarifi, 1st Edition, Dar Al-Salaam Library, Beirut - Lebanon.

Al-Tabataba'i, 1997: The Balance in the Interpretation of the Qur'an, Muhammad Husayn, 1st Edition, Al-Alamy Foundation for Publications, Beirut.

Al-Tabarsi, 2016: Mustadrak Al-Wasail, Mirza Hussain Al-Nouri (d. 1320 AH), Edition 1, Al Al-Bayt Foundation (peace be upon him) Heritage Revival.

Al-Tusi, 1995: Clarification in the Interpretation of the Qur'an, Muhammad Bin Al-Hassan (d. 460 AH), investigation: Ahmed Habib Qasir Al-Amili, Arab Heritage Revival House, Beirut.

Al-Askari, 1988: Interpretation of Imam al-Askari, Imam Muhammad ibn al-Hasan (d. 260 AH), investigation: Imam Mahdi School, Qom, Iran.

Abdel-Tawab, 1983: Linguistic development: its manifestations, causes and laws, Ramadan, Cairo.

Ali, 2009: Comparative Dictionary of the Words of the Noble Qur'an, Khaled Ismail, 1st Edition, Dar Al-Mutaqin for Culture, Printing and Publishing, Beirut.

Omar, 2008: The Encyclopedic Dictionary of the Words and Readings of the Noble Qur'an, Ahmed Mukhtar, 1st Edition, Sutur Al Maarifa Foundation for Printing and Publishing, Riyadh.

Omar, 2009: A Dictionary of Contemporary Arabic Language, Ahmed Mokhtar, with the assistance of a working group, 1st Edition, World of Books, Cairo.

Al-Farahidi, 1997: Al-Ain, Al-Khalil bin Ahmed (175 AH), investigation: Mahdi Al-Makhzoumi, and Ibrahim Al-Samarrai.

Al-Qays, 2004: Diwan of Imru' Al-Qays, Imro', 2nd Edition, Dar Al-Maarifa, Beirut.

Al-Kulayni, 1984: Al-Kafi, Muhammad bin Yaqoub (329 AH), investigation: Ali Akbar Al-Ghafari, 5th edition, Dar Al-Kutub Al-Islamiyya, Tehran, Iran.

Kamal El-Din, 2008: A Dictionary of the Vocabulary of the High Common in the Arabic Language, Hazem Ali, 1st Edition, Library of Arts, Cairo.

Arabic Language Academy, 1988: A Dictionary of the Words of the Noble Qur'an, Arabic Language Academy, (group of authors), Egypt.

Majlissi, 2017: Bihar Al-Anwar, Muhammad Baqir bin Muhammad Taqi (d. 1111 AH), Shabakat al-Fikr, Beirut.

Makhzoumi, 1989: Mujahid's interpretation, Abu al-Hajjaj Mujahid bin Jabr al-Tabi'i al-Makki al-Qurashi (d. 104 AH), investigation: Muhammad Abd al-Salam Abu al-Nil, 1st edition, House of Modern Islamic Thought, Egypt.

Muqatil, 2002: Interpretation of Muqatil bin Suleiman, Abu al-Hasan Muqatil bin Suleiman bin Bashir al-Azdi al-Balkhi (d. 150 AH), investigation: Abdullah Mahmoud Shehata, 1st edition, Heritage Revival House, Beirut.